

في مناقشة كل التفاصيل الجزئية ، فسنتكفي هنا  
بتقديم ملاحظات عامة عن الكتاب : وهذه الملاحظات  
هي :

أولا : على الرغم من أن المؤلف قدم لنا دراساته  
على أساس أنها « محاولات لاستخدام المنهج المادي  
التاريخي » ، فإنه كثيرا ما يلجأ الى التعميم ، والى  
تبني الأفكار الشائعة كما سنبينه فيما بعد . وهذا  
يجعل المؤلف ينساق أحيانا وراء أخطاء شائعة ،  
وتجعله في أحيان أخرى يحاول أن يفرض علينا الأفكار  
والإشاعات المتداولة ، وكأنها حقائق علمية . كما  
أنه في أحيان أخرى ، ونتيجة التسرع في رفض بعض  
الراء ، أو تبنيها ، ينساق الى ارتكاب أخطاء  
كبيرة .

ثانيا : أن أول ما يمكن أن يوجه الى المؤلف ، هو  
أنه أراد أن يؤكد على حقيقة علمية ، فارتكب خطأ  
علميا . أنه أراد أن يؤكد على أن المسألة اليهودية  
هي بنت المجتمع البرجوازي ، وأن المسألة اليهودية  
ليست مشكلة اليهودي المجرى بل مشكلة اليهودي  
الواقعي ، الكائن الحي الذي مارس الربا لأن الربا  
كان حاجة اجتماعية ، ولأنه كان مؤهلا لممارسة هذا  
الدور ضمن الظروف الاجتماعية القائمة ، ولقد  
اضطهد نتيجة صراع برجوازيين : برجوازية يهودية  
وبرجوازية وطنية صاعدة في بلدان أوروبا الغربية  
ثم الشرقية الخ . . . ولقد أورد الدكتور العظيم مجمل  
الأفكار التي أوردها ماركس وأبراهيم ليون خاصة ،  
وغيرهم من المفكرين الماركسيين الكبار . وأنا لا  
أخالفه فيما ذهب إليه أساسا . ولكني أعتقد أن  
صادقا تجاهل حقيقتين :

الأولى : أنه تجاهل دور البنى الفوقية في مشكلة  
اليهودية . صحيح أن البنى الفوقية ، هي بنت  
الواقع ، انعكاس له ، ولكنها بعد أن توجد وتتكون  
تصبح جزءا من الواقع ، وبالتالي تصبح من العوامل  
المؤثرة فيه . وهذا ما يؤكد ماركس وإنجلز ولينين .  
وقد حاول إنجلز أن يفسر هذا الاهتمام بالبناء التحتي  
في رسالة الى بلوخ عام ١٨٩٠ جاء فيها :  
« ماركس وأنا نحمل جزئيا مسؤولية كون الشباب  
يمطون الجانب الاقتصادي وزنا أكبر مما يجب .  
ففي مواجهتنا لخصومنا كان علينا أن نؤكد المبدأ  
الأساسي الذي ينكرونه . وفي هذه الحال لم نجد  
دائما الوقت والموضع والظرف الذي يتيح لنا إعطاء  
العوامل الأخرى التي تشترك في الفعل المتبادل  
مكانها . ولكن ما أن كان يجب علينا أن نقدم قطعة

تاريخ حية ( أو شرحة تاريخ ) أي أن ننقل الر  
التطبيق العملي ، حتى كان الأمر يتبدل ولا يبقى مجال  
للخطأ» . (راجع : Marx, Engels: Selected Correspondence, Progren Publishers, Moscow, p. 417-418.

ويؤكد إنجلز : « أن الوضع الاقتصادي هو القاعد  
ولكن العناصر الأخرى من البنى - الفوقية -  
الاشكال السياسية من النضال الطبقي ونتائجها ،  
تؤثر أيضا تأثيرها على مجرى الك  
التاريخي وفي كثير من الحالات « ترجع في تقييس  
نمطه » ، ويذكر إنجلز الدين من بين هذه البنى  
وما لم يتحدث عنه ماركس وإنجلز ولينين وأبراهيم  
ليون - فيما نعلم - هو دور البنى الفوقية اليهودية  
في المسألة اليهودية . ولقد جاء صادق وتجاهل  
هذه الناحية اطلاقا . هل يجد صادق لنفسه عذر  
في ذلك أنه يرد على نظرة « مثالية » ، وأنه بحاجة  
لأن يؤكد الأساس المادي للقضية ؟ ربما كان ذلك  
هو السبب ، ولكنه لا يعني صادقا من تجاه  
جانب أساسي من القضية : البنى الفوقية لليهود  
واليهودية . ذلك أننا ان لم نبحث هذا الجانب  
فسوف نقف حائرين أمام العديد من الظواهر  
المعاصرة ، فيما يتعلق ببقاء اليهودية وانحلالها  
العالم الاشتراكي والعالم الرأسمالي .

الثانية : أن صادق تجاهل أيضا دور الشتا  
وحياة المدن ، ومن ثم الفينو ، في خلق الشخص  
اليهودية . أن اليهودي انسان ، مثل كل الناس  
وهو يخضع عموما للظروف التي يعيشها مجتمع  
ولكنه بالإضافة الى ذلك « مهاجر » . والمهاجر  
عادة ينزلون المدن ، ويتجمعون في أحياء خاصة به  
هذا ما يفعله العرب في أوروبا وأمريكا والهند  
والباكستان ، وما يفعله الهنود في أوروبا  
والصينيون في مهاجرهم . أنه قانون عام .

ولا يعرف التاريخ جماعة هاجرت هجرة اليهود  
وتنقلت كما تنقلوا . وفي المهاجر كانوا يخلق  
أحياءهم المغلقة . وهذه الأحياء المغلقة لم توجه  
لهم الشعوب التي نزلوا بين ظهرانيها . ل  
أوجدتها ظروفهم كمهاجرين من « نحلة » خاصة  
ثم جاء دور الشعوب والحكام والأديان التي حد  
بين ظهرانيها . وكان هنالك تفاعل بين ه  
الظاهرتين . أن هذه الظاهرة لا يجوز تجاهلها  
بالطبع هناك أسباب لهجرتهم ، ولكنها ليست م  
الى انحلال النظام الإقطاعي فقط . فلقدم م  
التاريخ هجرات يهودية قبل ذلك . ( راجع ليون